

الحلقة التاسعة عشرة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هل تعامل الله مع البشر مستمعي وكيف؟ وهل تكلم الله مع الإنسان منذ خلقه؟ وهل يمكن الوثوق بما أعلنه الله لنا؟ يظن البعض أن الله بعيد جداً عن الإنسان، ومن الصعب الوصول إليه. ويظن آخرون أنه من المستحيل أن تقوم علاقة روحية بين الله الخالق والإنسان المخلوق. فهل هذا صحيح؟

للإجابة عن كل هذه التساؤلات علينا أن نعود لما دوّنه لنا كاتب سفر العبرانيين في رسالته، التي هي من أسفار العهد الجديد. فقد قدّم لنا مقارنة كاملة بين إعلانات الله للإنسان في العهد القديم من الكتاب المقدس، وبين ما جاء به المخلص يسوع المسيح في العهد الجديد. بدأ كاتب سفر العبرانيين سفره بهذه الآيات الهامة المعبرة:

«اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءٌ مَجْدِهِ، وَرَسْمٌ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِزَّةِ فِي الْأَعَالِي، صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ» (الرسالة إلى العبرانيين ١: ١-٤).

لخص كاتب سفر العبرانيين بهذه الآيات المقدّسة فترة طويلة من علاقة الله مع الإنسان منذ خلقه إلى مجيء المخلص يسوع المسيح الذي وعد به منذ القديم. سنتأمل الآن بهذه الآيات الهامة المعبرة، فابقوا معنا أعزائي.

أكد كاتب سفر العبرانيين في بداية رسالته أنه سبق لله الخالق أن تعامل مع الإنسان منذ خلقه. وهذه حقيقة واضحة في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس. إذ نجد الله بعد أن عصى الإنسان أوامره بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير

والشر، يتحدّث مع آدم وحواء. وقال الله لآدم أنه بسبب عصيانه قد أصبحت الأرض ملعونة، وأنه بالتعب يأكل منها كل أيام حياته، وأنه بعرق وجهه يأكل خبزاً. وقال الله لحواء إنه كثيراً سيكثر أتعاب حبلها، وأنها بالوجع تلد أولاداً. لكن الله قال للحية التي كانت ترمز للشيطان أنه سيأتي من نسل المرأة من يسحق رأسها. وكان هذا أول وعد أن الله سينقذ الإنسان من العصيان ومن عبودية الخطية التي سقط فيها. وذلك عن طريق المخلص المسيح الذي سيأتي من نسل المرأة. ثم أدان الله الناس أيام النبي نوح على شرهم، إذ أرسل الطوفان وأهلك الناس جميعاً ما عدا نوحاً وأولاده وزوجاتهم.

ثم تعامل الله مع إبراهيم الخليل الذي وعده أن من نسله سيأتي الذي تتبارك منه جميع أمم الأرض. وكانت هذه إشارة ثانية إلى المخلص المسيح الذي سيفدي الإنسان وتتبارك منه كل الشعوب. ومن نسل إبراهيم أتى يعقوب الذي أصبح اسمه إسرائيل، ومنه خرج شعب إسرائيل في القديم.

ونجد أن الله تعامل في البداية مع شعب إسرائيل عن طريق النبي موسى، الذي أعطاه الشريعة أو الناموس. لكنه وعدهم في نفس الوقت أنه سيرسل لهم المنقذ. ولقد أرسل الله الأنبياء الكثيرين لشعب إسرائيل لكي يحذّروهم من الارتداد عنه، وينبئهم بالدمار الذي سيحل عليهم. وفي نفس الوقت تنبأ هؤلاء الأنبياء عن مجيء المسيح المخلص، الذي سيأتي وينقذ البشر. فتنبأوا عن ولادته من العذراء مريم في بلدة بيت لحم، وأنه سيقوم بالعجائب الباهرة، ويتحدّث بالتعاليم الإلهية السامية. والأهم من هذا وذاك أنهم تنبأوا عن موته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات، وصعوده حياً إلى السماء.

مستمعي الكريم، هذا بالضبط ما أعلنه كاتب سفر العبرانيين عندما كتب أن «الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ». أجل، إن الله تعامل مع البشر بوسائل عديدة، ومن خلال الأنبياء، إلى أن أتى اليوم المعين الذي أرسل فيه المخلص المسيح.

إن تعبير الابن، هو دلالة على الاتحاد الكامل ما بين الله الآب والابن. فالآب أرسل ابنه أي كلمته الأزلي المتحد معه منذ الأزل. ونحن كمسيحيين نؤمن أن الله واحد. وعندما نقول الابن، فنحن لا نقصد البتة الابن بالمعنى الجسدي، أي أن الآب تزوج وأنجب ابناً، كلا، ولكن نشير إلى العلاقة الكائنة ما بين الآب والابن.

ولهذا نجد أن كاتب سفر العبرانيين تابع قائلاً: «الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ». لقد كان الابن هو كلمة الله الأزلي الذي بواسطته خلق الآب كل العوالم والكائنات، لهذا نقول عنه أنه كلمة الله الأزلي. وعندما تجسّد وصار إنساناً أعطاه الله الآب كل سلطان أي جعله وارثاً لكل شيء.

ثم أوضح كاتب سفر العبرانيين أكثر عن ماهية هذا المخلص الابن الذي أتى فقال: الَّذِي، وَهُوَ بِهِاءَ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةٍ قُدْرَتِهِ». فهو كائن في جوهر الله، إذ هو متحدٌ به، ولهذا هو رسم جوهره. وهو الكلمة الأزلي الذي له القدرة الكاملة ليس على الخلق فحسب بل على حفظ الكون.

لكن الأمر الهام عن هذا المخلص الذي أتى أنه: «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِزَّةِ فِي الْأَعَالِي». لقد تمّ المسيح بمجيئه عمل التكفير عن الخطيئة الذي خطط له الله منذ البداية. وعندما أكمل هذا العمل بموته على الصليب، أجلسه الله الآب عن يمينه أي في مركز القوة والسلطان. ولهذا صار المسيح المخلص كما ذكر كاتب سفر العبرانيين: «أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ». إن الابن الكلمة الأزلي تجسّد وصار إنساناً، ثم أكمل عمل الخلاص، وصار كإنسان أعظم من الملائكة.

ألا تود مستمعي أن تؤمن بهذا المخلص الفريد؟ الكلمة الأزلي الذي أرسله الله من أجل فدائك وتحريك من عبودية الخطيئة؟ أو لا ترغب أن تملكه على حياتك ليكون هو الملك؟ لم لا تؤمن به الآن مخلصاً لك وهكذا تنال الغفران الكامل والحياة الأبدية!